ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلـة أبعاد / مختبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر
جامعة وهران2 - المجلد 05 - العدد 01 / جوان 2019

البناء القيمي المجتمعي: طرح تنظيري ضمن الفضاء السوسيولوجي

Community value building : a theoretical presentation within the sociological framework

د.بومدين مخلوف*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف"المسيلة"، الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2018/06/24 تاريخ القبول: 2019/06/07 تاريخ النشر: 2019/06/30

الملخص: في ظل التحولات وغزو الأفكار والقيم والمعايير ومستوى التثاقف والتجاوب، يمكن تفعيل علمية الوعي والإدراك الأسري والمدرسي والديني، باعتبارها مجموع الأفكار والأدوار التي تتشكل وفق نسق تصوري استشرافي تواصلي قيمي يتحدد بأسلوب الاعتراف كقيمة والاتصال الشخصي كواجب أخلاقي والالتزام كضمير قيمي يحقق الوجود الاجتماعي والتفاعل الإيجابي.

الكلمات المفتاحية: القيم؛ المنظور النفسي للقيم؛ المنظور السلوكي للقيم؛ المنظور المعرفي للقيم.

Abstract: In the light of transformations and the invasion of ideas, values, standards and the level of acculturation and responsiveness, it is possible to activate the science of awareness and understanding of family, school and religion, as the sum of the ideas and roles that are shaped according to a forward-looking, communicative, value-oriented style. Values, the psychological perspective of values, the behavioral perspective of values, the cognitive perspective of values,

Keywords: Values; the psychological perspective of values; the behavioral perspective of values; the cognitive perspective of values.

* الباحث المُرسل: prof.medien@gmail.com

الإشكالية:

ضمن الحقول الاشتغالية للعلوم الإنسانية والاجتماعية قد يلاحظ أن نظرية أو مبحث القيم "الأكسيولوجيا" (Axiologie) هو أحد المحاور الرئيسية الثلاث في الفلسفة، والمراد به البحث في طبيعة القيم وأصنافها ومعاييرها، وهو يرتبط خاصة بعلوم المنطق والأخلاق والجمال.[1]

وتطلق القيمة في الأخلاق على ما يدل عليه لفظ الخير، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما فيه من خير، فكلما كانت المطابقة بين الفعل وبين الصورة الغائية الذهنية أو المثالية للخير، كلما كانت قيمة الفعل أكبر، أما الصورة الذهنية فتسمى القيم المثالية (valeur idéales) وهي الأصل الذي تتأسس وتبنى عليه أحكام القيم (jujements de valeurs) أي الأحكام التي تأمر بالفعل أو الترك.[2]

وعليه فالقيمة الأخلاقية مجال الحقل الاجتماعي تعتبر فضيلة وواجب وسلوك وعمل إنساني قيمي، تتشكل محوريا بأسلوب قيمي وبتوفر ثلاث عناصر تتمثل في: العمل والغاية والفاعل، فالعمل يطلق على تركيب ذي دلالة، والغاية التي يتطلع إليها العمل، ويكون العمل بالضرورة فعل فاعل من أجل غاية، وعندها تتشكل المسؤولية لبنية العمل بالمعيار القيمي الأخلاقي، أي غير آلي ولا غريزي، ولا اعتيادي ولا شعوري، بل إنه عمل اختيار شعوري واع، فهو يختلف عن العفوية ويتضمن أساسا مبدأ الحرية، ذلك أن العمل بذاته لا يكون فعلا أخلاقيا إلا إذا واكبته حرية اختيار أمر على أمر، وترجيح قيمة على سواها.[3]

وضمن هذا التحليل فالأخلاق ضمن حقل القيم تحتل موقعا مركزيا ومكانة محورية جوهرية، باعتبارها مجموعة من القواعد والنواظم السلوكية التي تسلم بها جماعة من الأفراد في حقبة ما، محتواها يتشكل في فرض القواعد التي ينبغي أن يحتذي بها

[1] مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، ط،2، القاهرة ، 1999م، ص.14.
[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص.213.
[3] عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1986م، ص.517، 518.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الإنسـان في سـلوكه،[1] وعلـم الأخـلاق يعتبر منطـق السـلوك لأنـه يـدرس شـروط تناسـق السلوك مع المثل العليا وتناسق الفكر مع مستوياته.[2]

ونجد الاندماج بين قيمتي الجمال والخير هو اتجاه قديم، فقد استخدم اليونانيون لفظا واحدا للتعبير عن الجمال والنبل الأخلاقي، وقد امتزجت عند اليونان فلسفة الجمال بفلسفة الأخلاق، فاعتبر الرواقيون الجميل هو وحده الكامل في عرف الأخلاق، وفي مرات كثيرة تم تناول بعض مواضيع علم الأخلاق على اعتبارها مع مواضيع علم الجمال بل والتوحيد بين الخيرية والجمالية، وجوهر الأخلاق قائم على الانسجام بين وجدانات الفرد ومطالب المجتمع، فالإنسان يبحث عن فعل الخير وجمال الفضيلة، وقوام السلوك الطيب هو حب الفضيلة لذاتها، لأن الفضيلة جمال والنفس بطبيعتها تهفو إلى الجمال وتنفر من القبيح.[3]

ومنه فالفعل الإنساني يتميز ببعده الأخلاقي القيمي المتمثل في القواعد المعيارية المنظمة للسلوك الإنساني، وتشكل الظروف الخارجية علامة محورية في تشكيل بنية السلوك.[4]

وتمثل العلاقة بين السلوك والأخلاق علاقة الدال بمدلوله، والسلوك يختلف باختلاف الظروف الداخلية والخارجية ومن حيث الزمان والمكان، والأخلاق تنظم سلوك الفرد في هذه الظروف من أجل أن تجعل من أفعال الفرد أفعالا أخلاقية.[5]

[1] نهى عبد العزيز محمود يوسف: دراسات في المذاهب الأخلاقية، تقديم: ماهر عبد القادر محمود، أورينتال، الإسكندرية، 2009م، ص.25.
[2] مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999م، ص.17.
[3] المرجع نفسه، ص.19.
[4] منصور علي رجب: تأملات في فلسفة الأخلاق، مطبعة مخيمر، ط1، القاهرة، 1953م، ص.181.
[5] إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق والسياسة "دراسة في فلسفة الحكم"، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، ص.88.

المنظور النفسي للقيم: (perspective psychologique des valeurs)

النظام التفسيري للقيم وحسب سيجموند فرويد (Sigmund Freud) أن الطفل أثناء عملية التنشئة الاجتماعية (socialisation) يتشكل له رصيد قيمي مع والديه، مما يؤدي إلى تكوين "الأنا الأعلى" الذي يمثل بدوره "الضمير".

ويعتبر "الأنا الأعلى" الممثل الداخلي للقيم التقليدية السائدة في المجتمع، وهو يمثل كل ما هو مثالي وليس ما هو حقيقي، وينزع إلى الكمال بدلا من اللذة التي يسعى "الهو" دائما إلى إشباعها، مما يجعل "الأنا الأعلى" و"الهو" في تعارض وصراع، ذلك أن المعايير الأخلاقية تمثل محاولة المجتمع لقمع الدفعات البدائية العدوانية "الهو"، أما "الأنا" فتمثل الجهاز الإداري لتنظيم وتنسيق عمل الأجهزة الثلاثة للشخصية والوصول بها إلى حالة التكامل، و"الأنا" يحكمه مبدأ الواقع الذي يمكنه من إقامة العلاقة مع البيئة الاجتماعية.[1]

المنظور السلوكي للقيم:

يرى هوفلاند (Hofland) أن قيم الفرد وأحكامه وسلوكه تتحد وفق ما يترتب على سلوكه من إحساس بالألم عند الإشباع نتيجة للعقاب، أو إحساسه بالمتعة أو الاشباع نتيجة للمكافأة، والسلوك القيمي المرغوب فيه، إذا ما عزز سلبيا فإن ذلك يؤدي إلى تقوية السلوك القيمي المرغوب فيه، مما يؤدي إلى تغيير نظرة الفرد نحو العالم، لذلك يرى الفرد أن العالم غير آمن، ولا يشبع حاجاته على وفق القيم التي آمن بها، وعلى هذا فإن الفرد يغير من قيمه تجنبا للإحساس بالألم وعدم الأمان نتيجة التعزيز السلبي لسلوكه القيمي، وإذا ما حصل الفرد على تعزيز إيجابي على سلوكه القيمي الجديد فإنه سيكرر ذلك السلوك انطلاقا من أن الفرد يتعلم تغيير قيمه بواسطة عمليات الارتباط والتعزيز.[2]

[1] أحمد عبد اللطيف وحيد: علم النفس الاجتماعي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2001م، ص.72.
[2] المرجع نفسه، ص72.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

المنظور المعرفي للقيم:

النظام التفسيري لهذه النظرية أن اكتساب القيم يعتبر عملية إصدار أحكام ترتبط ارتباطا وثيقا بنمو التفكير عند الطفل واكتساب القيم من وجهة نظر هذه المدرسة ليس محاكاة لنموذج اجتماعي، أو تكييفا للسلوك الأخلاقي بمقتضى المثيرات البيئية، وإنما تؤكد أن الخلق ينشأ من محاولة الفرد تحقيق التوازن في علاقاته الاجتماعية، وقدراته العقلية ويعتبر"بياجيه" من أوائل أصحاب هذه المدرسة حيث أبدى اهتماما في بعض دراساته بنمو حكم الطفل الأخلاقي، وطريقته في التفكير حول الأسئلة تتعلق بالصواب والخطأ وفهمه للقوانين الاجتماعية.[1]

المنظور الظواهري للقيم:

بناء الذات بهذا المنظور يتكون نتيجة للتفاعل مع البيئة، ومع أحكام الآخرين التقويمية فيبدأ الفرد في بناء تصور خاص عن نفسه في علاقاته مع البيئة ويضفي على الخبرات قيمه ربما تكون إيجابية أو سلبية، وهذه القيم المرتبطة بخبرات الفرد، قيم يخبرها بصورة مباشرة، وفي بعض الأحيان يأخذها من الآخرين أو يستخدمها.[2]

الاتجاه المثالي أو المحافـــظ:

يعتبر هذا الاتجاه الفكري نتاجا لتراكم مجموعة من الجهود البارزة في مجال النظرية السوسيولوجية، ومن أبرز العلماء الذين أسهموا في تطور هذا الاتجاه ماكس فيبر ودوركايم وبارسونز وغيرهم، وبصرف النظر عن تباين رؤية كل منهم للقيم الاجتماعية فإن ثمة مقولات أساسية شكلت المنطلقات النظرية والفكرية لرؤيتهم للقيم يمكن إجمالها على النحو التالي:[3]

- تمثل القيم عملية تراكمية تكتسب عبر التفاعلات الاجتماعية التي مر بها الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الجماعات وفي مقدمتها الأسرة.

[1] المرجع نفسه، ص55.
[2] المرجع نفسه، ص.73، 74.
[3] سعيد ناصف: تأثير القنوات الفضائية في منظومة القيم الاجتماعية، دار النور للطباعة، ط1، 2007م.، ص.30 -32.

- أن القيم تعرف بأنها تصورات صريحة أو ضمنية تحدد اختيارات الناس وتفضيلاتهم لأهدافهم الانتاجية والاستهلاكية ووسائل تحقيقها.
- أنه بالرغم من أن القيم تحدد وجود الناس وأوضاعهم وأنماط مجتمعاتهم، فإن التكيف معها وقبولها كليا أو جزئيا يتحدد بأوضاع الجماعات التي ينتمي إليها الفرد، وبمدى أدائها لدورها في تحقيق تمثل الأفراد للقيم.

الاتجاه النقدي (الراديكالي):

ينطلق هذا الاتجاه النظري من مجموعة من المقولات النظرية الأساسية منها التأكيد على أن الوجود الاجتماعي للناس يسبق وعيهم الاجتماعي وما يرتبط به من قيم، وأن المجتمع ليس ثابتا وإنما يتغير باستمرار نتيجة لتغير الظروف المادية المتمثلة في نمط الإنتاج وعلاقات الإنتاج ولقد أسهم في تأسيس هذا الاتجاه مجموعة من المفكرين والمنظرين كان في مقدمتهم ومنظرو مدرسة فرانكفورت (Ecole de Francfort).

ووفقا لهذا الاتجاه فإنه يمكن التمييز بين مستويين من القيم، يتمثل المستوى الأول في الظروف الموضوعية لوجود أعضاء المجتمع المحكوم بالتقسيم الاجتماعي للعمل وشروطه، أما المستوى الثاني فهو مستوى محتمل يتطلع إليه الناس بغض النظر عن إمكانية تحقيقه في الظروف الراهنة، كما يرى أصحاب هذا الاتجاه أيضا أن لكل أسلوب انتاجي مجموعة من القيم المركزية التي ترتبط بها قيم أخرى تتصل أهدافها ووسائلها بأهداف القيم المركزية وأساليب تحقيقها، والتي تحدد وتتشكل بالظروف الاجتماعية والاقتصادية ومن ثم تؤثر في مستوى الوعي على كافة الأصعدة والمستويات الشخصية، الطبقية، المجتمعية.[1]

[1] سعيد ناصف، مرجع سابق، ص.30.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

والقدرة على الوعي هي ممارسة الانتباه والتفكير التي تسمح للبشر تدريجياً بالتأقلم مع الواقع الخارجي والتكيف معه باعتباره وسيلة لتحقيق أهدافهم.[1]

ويؤكد تشرلز كولي (Cooley) أن "الوعي الاجتماعى (Social consciousness) أو الوعي بالمجتمع (awareness of society) لا يمكن فصله عن الوعي الذاتي (self-consciousness)، فالذات والمجتمع توأمان".[2]

وعليه فالوعي يشير إلى القدرة على إدراك الذات بوصفها موضوعاً يتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل، بما فى ذلك انعكاس الذات بوصفها كائناً مدركاً لبيئته المحيطة، وهو يرتبط بمصطلحات معينة مثل: الخبرة والذاتية والتفكير الواعي، وبالتالي فإنه ليس من الضروري أن يرافق الإدراك وجود الوعي، بينما الإنسان يكون مدركاً وواعياً،[3] كلما كانت عملية الوعي تناسب مرحلة الارتقاء والتحضر الإنساني، والقدرة على الربط بين الأحداث الماضية والمستقبلية التى تؤثر في حياته، وبتعبير ماركس أنه "يتحدد الوعي بالوجود الاجتماعي، فهو نتيجة للتفاعل بين أنفسنا وعالمنا المادي المحيط بنا، ولذلك فهو منتج تاريخي".[4]

ولفهم مستوى وعي مؤسسات التنشئة الاجتماعية حول المنظومة القيمية في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال، لا بد من معرفة التركيبة المجتمعية ومدى فهم الأفراد لقيم وثقافة تشكيل البناء المجتمعي، وواقع الاتصال ومجالاته داخل النسق الأسري كقيمة، وتحديد مدى وعي وإدراك الأفراد لعملية التنشئة كمفهوم وممارسة في ظل المتغيرات الجانبية، ومستوى وعي الأفراد للمحيط الخارجي، والتطور الحضري وعلاقته

[1] Scott, John: Conceptualising the Social World, Principles of Sociological Analysis, Cambridge University Press, New York, 2011. P.219

[2] Cooley, Charles Horton: Social Consciousness, The American Journal of Sociology, Vol. 12, No. 5, Mar. 1907. P.98

[3] Arp, Robert: Consciousness and Awareness, Journal of Consciousness Studies, 14, No. 3, 2007, Pp . *103-102*

[4] Eagleton, Terry: Why Marx was right, Yale University Press, London, 2011. P.135

بدور مؤسسات التنشئة، ومعرفة نظرة الأسرة الحضرية لقيمة الوقت وقيمة لغة الحوار والعلاقات، ونظرة الأفراد لمدى اهتمام المدرسة والمسجد في مجال قيم: "تقوية العقيدة، تنمية اللغة، إحياء التراث الثقافي، تدعيم الهوية".

وكذا مدى وعي أفراد المجتمع لحتمية تكنولوجيا الاتصال الحديثة ودورها كقيمة معلوماتية اتصالية في البناء المجتمعي، وتحديدهم لأهم تكنولوجيا اتصال "حسب الاستخدام"، ومدى ممارسة الانتباه والتفكير التي تسمح لهم تدريجياً بالتأقلم مع الواقع الخارجي والتكيف معه باعتباره وسيلة لتحقيق أهدافهم، ومدى تقبلهم فكرة لكل زمن منظومة اتصالية قد تحقق السيطرة، ومعرفة مدى وعي الأفراد للشبكة الإعلامية العالمية "الإنترنت" من حيث "المفهوم، الخدمات والمميزات، الاستخدام، الاهتمام والتفاعل، أوقات وأماكن الاستخدام" وعلاقتها بمنظومة القيم.

وكذا مدى اعتراف الأفراد كقيمة وفهمهم لمنظومة القيم في ظل استخدام الشبكة الإعلامية "الإنترنت"، من حيث: "اكتساب المعارف، أهداف الاستخدام، والاطلاع على واقع القيم ومجالات التغير، التصورات الاستشرافية للقيم الفكرية وتنميتها، الالتزام كضمير أخلاقي وقوة الإلزام كحتمية تتخطى السيطرة، ومعرفة مستوى فهم الأفراد لتحديد القيم التي تراجعت وعلاقتها ببروز المظاهر السلبية داخل البناء المجتمعي.

خاتمة:

البناء القيمي المجتمعي يعتبر جزء أساسي من التنظيم المجتمعي الجزائري، قد يتأثر بالإطار العام الذي تطور فيه هذا المجتمع، فمجتمعنا عرف تغيرا سريعا وكبيرا خاصة نتيجة التحوّلات العميقة، وتبعتها تأثيرات جانبية في مجال سلطة تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة، وفي ظل مسايرة نموذج التطور العالمي نحو الحداثة والتحضر، قد يؤدي إلى ظهور حراك اجتماعي وبنيات حديثة في وظائفها وأدوارها، فالترابط الحتمي مع الآخرين فى مجال الاهتمامات والأفكار باختلافها، قد يؤدي ويحفز على عملية التحول القيمي، وقيمة الوعي هنا تتحد وحسب ماكميلان (McMillan) في: "حالة الاستعداد التي

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

تتكون من العديد من الأفعال العقلية المشتركة والتى من خلالها نعي هذا الموضوع أو ذاك فى البيئة أو في نفسه".1

وفي ظل التحولات وغزو الأفكار والقيم والمعايير ومستوى التثاقف والتجاوب، يمكن تفعيل علمية الوعي والإدراك الأسري والمدرسي والديني، باعتبارها مجموع الأفكار والأدوار التي تتشكل وفق نسق تصوري استشرافي تواصلي قيمي يتحدد بأسلوب الاعتراف كقيمة والاتصال الشخصي كواجب أخلاقي والالتزام كضمير قيمي يحقق الوجود الاجتماعي والتفاعل الإيجابي.

وكذا تفعيل مساهمة مؤسسات التنشئة "الأسرة، المدرسة، المسجد" في إنتاج وإعادة إنتاج الأفراد للواقع الاجتماعي فى شكل أفكار وتصورات، قد يتحقق وفي ظل إشكالية الاستعمال الواعي للحرية وإدراك التقنية كقيمة فكرية من حيث المضمون وفق:

- الاهتمام بالظروف النوعية الخاصة، والاتصال المعرفي.
- إدراك الأهداف الخاصة للهيئات الاتصالية المنظمة.
- إدراك الفرد لنفسه كإنسان فى المجتمع الذي يعيش فيه، وللعلاقات وللقيم وللمعايير.
- ممارسة الاختلاف كثقافة والاعتراف كقيمة، والتميز في فهم الآخر وتفعيل عملية التأثير كقيمة.

[1] Gillet, Grant R., and McMillan, John: Consciousness and intentionality, John Benjamins Publishing Co ,.Amsterdam, Netherlands, 2001. P.247

قائمة المرجع:

1. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

2. مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة ، 1999م.

3. عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1986م.

4. نهى عبد العزيز محمود يوسف: دراسات في المذاهب الأخلاقية، تقديم: ماهر عبد القادر محمود، أورينتال، الإسكندرية، 2009م.

5. مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999م.

6. منصور علي رجب: تأملات في فلسفة الأخلاق، مطبعة مخيمرة، ط1، القاهرة، 1953م.

7. إمام عبد الفتاح إمام: الأخلاق والسياسة "دراسة في فلسفة الحكم"، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.

8. أحمد عبد اللطيف وحيد: علم النفس الاجتماعي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2001م.

9. سعيد ناصف: تأثير القنوات الفضائية في منظومة القيم الاجتماعية، دار النور للطباعة، ط1، 2007م.

10. Scott, John*:* Conceptualising the Social World*,* Principles of Sociological Analysis, Cambridge University Press, New York, 2011.

11. Cooley, Charles Horton*:* Social Consciousness, The American Journal of Sociology, Vol. 12, No. 5, Mar. 1907.

12. Arp, Robert*:* Consciousness and Awareness, Journal of Consciousness Studies, 14, No. 3, 2007.

13. Eagleton, Terry*:* Why Marx was right, Yale University Press, London, 2011.

14. Gillet, Grant R., and McMillan, John*:* Consciousness and intentionality, John Benjamins Publishing Co ,.Amsterdam, Netherlands, 2001.